أساليب التعذيب بالمركز العسكري "دزيرة" بمنطقة العين الصفراء (1958 -1962)

أ. محمد برشان

جـامعة بشــار

مقدمة:

مع اتساع نطاق الثورة اتسعت معها رقعة السجون والمعتقلات، وما أن حلت سنة 1957، حتى أصبح أغلب القطر الجزائري معتقلات ومراكز تعذيب، وقد عمت هذه الظاهرة كل أرجاء الوطن، إذ لم تخل أي منطقة من معتقل أو سجن لايزال شاهدا على وحشية الاستعمار وغطرسته، ويسجل أدلة مادية ومعنوية على الجرائم ضد الإنسانية، والدوس على الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحماية المعتقلين.

ويصنف مركز "دزيرة" العسكري بمنطقة العين الصفراء الذي أنشئ في جوان 1958 خصيصا لعمليات الاستنطاق والتعذيب خلال الثورة المسلحة، أكبر مركز للتعذيب في الجنوب الوهراني، وقد مارست فيه الإدارة العسكرية ألوانا من التعذيب تفوق بشاعتها وفظاعتها الأساليب التي سلطتها النازية ضد أعدائها.

وقد وقفنا في هذا المقال على بعض أساليب التعذيب من خلال شهادات بعض المعتقلين الذين زاروا هذا المركز، بالأخص أولئك الذين ما زالوا على قيد الحياة، كما وقفنا على أبرز ما ترتب على تلك الأساليب الوحشية في التعذيب من نتائج وانعكاسات.

مركز "الدزيرة": الهوية والتعريف:

يقع مركز "الدزيرة" العسكري جنوب غرب مدينة العين الصفراء على بعد ثلاثة كلم من وسط المدينة، في منطقة محاطة بالأسلاك الشائكة الملغمة والمكهربة، يحده جنوبا شريط من الكثبان الرملية التي تفصله عن جبل مكثر، ويشرف من جهة الشمال على وادي لبريج الذي يمر على وسط المدينة.

قدرت مساحته بـ:350 م^2، يضاف إليها 150 م^2 من المساحة المحاذية للمركز، وبذلك تصبح مساحته الإجمالية حوالي 500م^2.اتخذته السلطات الاستعمارية بالمنطقة مركزا للمراقبة والتموين ولما اشتد لهيب الثورة المسلحة واتسع نطاقها، حول إلى مركز للتعذيب وذلك بعد تجهيزه بوسائل متطورة في التعذيب والاستنطاق منذ جوان 1958 بعد العملية الفدائية التي قام بها جيش التحرير بقيادة شلالي عبد السلام، وحساني محمد مستهدفة شاحنة كانت تقل مجموعة من الخونة. (Brisini. M : 103)

يتكون المركز من مقرين:الأول خاص بالقيادة، والثاني خاص بعمليات التعذيب، وقد بلغت سعة استيعابه الإجمالية حوالي 200 شخص وضعوا في زنزانات ضيقة بحيث لا يمكن للمعتقلين المشي أو الحركة بداخلها مما يجبرهم على البقاء واقفين طول الوقت، وما ذلك إلا تمهيدا لبداية أشنع صور التعذيب التي كانت تنتظرهم. (Alla, B . 2004 :13)

كان يشرف على إدارة مركز الدزيرة كل من الرائد دسيزي Desèze، وهو مظلي سابق ومساعد مباشر للجنرال صالان Salan، باعتباره القائد العسكري لقطاع العين الصفراء، والعقيد مات Met قائد

الأركان، والنقيب كاميس Camus الذي ترأس المكتب الثاني المسمى تضليلا وتدليسا بـ: المكتب البسيكولوجي، وكان المكتب شبيها لجهاز الشرطة السرية النازية "غيستابو- Gestapo" ولكن على الطريقة الفرنسية في عملتي الاعتقال والتعذيب .ومن ثم فلا نجد غرابة أن أغلب المشرفين على مديرية السجن كانوا أعضاء في حكومة فيشي Vichy الموالية للألمان خلال فترة الحرب العالمية الثانية. (Brisini. M : 103)

يضاف إلى هؤلاء القادة عناصر أخرى تولت الإشراف المباشر على عمليات التعذيب، وقادت المجازر المرتكبة داخل المركز وهم على التوالي: الملازم الأول جوتيي Jutiez مراقبا للسجن وكان يشرف على الاغتيال المباشر للمعتقلين، والرقيب الأول كدار Cadars مساعد ومخبر سابق في حكومة فيشي Vichy، و قد انظم إلى اللفيف الأجنبي سنة 1945، والملازم الأول فوشي Fouchet والعميل جبور عبد القادر الذي كان يتقن التحدث بعدة لغات، وكان يقول أثناء تعذيبه للمعتقلين:" المهم لدي أن تتحدث وبأي لغة شئت: العربية، الأمازيغية، الفرنسية، الألمانية...".

وعناصر أخرى من الدرك الفرنسي انتدبت في المكتب الثاني منهم: الملازم الأول ماتان Matin والملازم الأول فورني Fournier مظلي وقناص، والرقيب الأول فلوش Le Floche وأتيليا ´Attelya، والرقيب فيري Ferrer، وطوراز Tores، وغيرهم... (Alla, B. 2004 :13)

أهداف إنشائه:

اختير موقع مركز "الدزيرة" العسكري بدقة فائقة لتحقيق جملة من الأهداف التي خدمت إستراتيجية السياسة الاستعمارية في مواجهتها لاتساع مكان الثورة ومن بين الأهداف نذكر ما يلي:

1- سعي الاستعمار إلى تضييق الخناق على الثورة وقمع السكان بالناحية من خلال تجميع المتعاطفين من الثورة في مراكز الاعتقال والتعذيب تمهيدا لإضعافها وقطع مصادر تموينها ومساندتها النفسية، إذ مع التحاقها بالثورة المسلحة في جوان 1956 شهدت ناحية العين الصفراء أعنف المعارك التي خاضها جيش التحرير الوطني ضد الاستعمار الفرنسي بالمنطقة الثامنة من الولاية الخامسة، بحكم موقعها الاستراتيجي الذي تمتعت به خلال مرحلة الثورة المسلحة، حيث اعتبرت ناحية العين الصفراء من أهم المعابر والمسالك التي وظفتها وحدات جيش التحرير الوطني في عمليات الاتصال والتموين التي تمت بين الثورة بالداخل وقواعدها الخلفية بالمغرب الأقصى على غرار قواعد: بوعرفة، فقيق تندرارة.(Guentari , M .2000 :232)

ولتضييق الخناق اندرجت الزيارة التي قام بها الجنرال Raymond Chabane في بداية ديسمبر 1959 للمنطقة من أجل تنظيم القطاعات العسكرية، وتكوين " فرق الموت- « Commandos de Chasse " التي تشكلت من عناصر اللفيف الأجنبي Légion Etrange والمظليين.

لقت هذه الفرق تدريبا خاصا ونوعيا، ووضع على رأس قيادتها الكولونيل بيجار Bigeard الذي كان على رأس القطاع العسكري لمدينة سعيدة منذ يناير 1959، وتركزت مهمتها في تعقب ومطاردة كتائب جيش التحرير الوطني التي كانت تنشط على طول الحدود الجزائرية المغربية بالمنطقة. (Eveno ,P.1989:115)

وقد اختيرت من بين الفرق مجموعة عرفت بالقسوة والشدة، فتقت تكوينا خاصا بأساليب التعذيب في مركز البليدة، وهو مركز

متخصص في فنون التعذيب وكان على رأس هذه المجموعة النقيب كاميس "Camus" والرقيب الأول كادار "Cadars"- ،إضافة إلى الملازم الأول جوتيي "Jutier" الذي سيصبح مديرا لمركز الدزيرة بعد نهاية التكوين.

وتتويجا لتلك الإجراءات أعطى الجنرال صالان " Salon" أثناء زيارته لمدينة العين الصفراء في جويلية 1960 إشارة الانطلاق لعملية "دزيرة مركز الموت". (Eveno ,P.1989:117)

2- التخفيف من إجراءات التقاضي وتقليل أعبائها، فقد كانت المحاكم بالرغم من عدم شرعيتها متنفسا في حماية المساجين والتكفل ببعض حقوقهم، وقد لجأت السلطات الاستعمارية إلى حرمان المعتقلين من أبسط حقوقهم في التقاضي والمحاماة ،إلى فتح هذه السجون والمعتقلات بالصحراء والتي يعد مركز الدزيرة أحد أعمدتها البارزين حيث كانت الحرارة المرتفعة صيفا، والبرودة الشديدة شتاءا وسائل طبيعية غير مكلفة في عمليات الاستنطاق والتعذيب بوسائل تتنافى والاتفاقيات الدولية التي تحمي المساجين وتكفل حقوق الأسرى. (عزوي، م.1987: 41) خاصة المادتين الثالثة والثالثة عشر من اتفاقية جنيف الثالثة 12 أوت 1949 التي تحظر كل ما من شأنه أن يحط من كرامة الأسرى والمعتقلين كالاعتداء على الحياة والسلامة البدنية وبخاصة القتل بجميع أشكاله، والتشويه والمعاملة القاسية والتعذيب.

كما منعت إصدار الأحكام وتنفيذ العقوبات من دون إجراء محاكمة أمام محكمة مشكلة تشكيلا قانونيا، وتكفل هذه الاتفاقية

توفير جميع الضمانات اللازمة لإجراء محاكمة سليمة (CICR, 2010 :243).

ولأن هذا المركز لم يكن ليتسع للأعداد المتزايدة من المعتقلين، فتحت الإدارة العسكرية الاستعمارية في الثكنة العسكرية بالمنطقة قاعة أرضية عرفت لدى المعتقلين بالغرفة رقم 44، يوضع فيها كل المعتقلين قصد تصنيفهم ثم توجيههم إلى مراكز أخرى على حسب التهم المنسوبة إليهم.ومن المراكز العسكرية بالمنطقة نذكر على سبيل المثال مركز صليح، عين الرشاق، تيوت مغرار،الصفيصفة، فرطاسة، جنين بورزق، وكلها كانت تستقبل المعتقلين الذين لم يشتركوا بصفة مباشرة في الأعمال العدائية ضد الاستعمار الفرنسي ،أو أولئك الذين وجهت إليهم تهم تقديم الدعم والمساندة لجيش التحرير الوطني،أما بالنسبة للمعتقلين الذين كانت توجه إليهم تهما بأدلة دامغة فقد كانوا يوجهون إلى مركز الدزيرة. (Brisini. M : 103)

أساليب التعذيب:

على الرغم من أن فرنسا كانت من الدول التي بادرت إلى التوقيع على اتفاقية جنيف الخاصة بحماية الأسرى المساجين، إلا أن قيادتها العسكرية المتشبعة بالفكر النازي انتهكت بنود تلك الاتفاقية وداستها بممارسات التعذيب الجهنمية التي وجد جلادوها نشوة للتنفيس عن الضغط الذي فرضته عليهم الثورة المسلحة، بل إن أحد رموز هؤلاء الجلادين الجنرال ماسو Massu الذي أصدر أمرا سريا باستخدام شامل للأساليب التعذيب المختلفة، وقام شخصيا باستخدام مدى نجاعة التيار الكهربائي، ذهب إلى حد القول في محاولة منه لتبرير أعماله الشنيعة

وتغطية جرائمه الفظيعة بأن :" الظروف الموضوعية تفرض على جيشنا في الجزائر انتهاج وسائل التعذيب، وكل الأساليب الضرورية والتي وجدتها ضمائرنا مشروعة من الناحية المعنوية." (Massu,1972 :165)، وقد اعترف الجنرال أوساريس "AUSSARESS" قائلا:" لقد تلقيت الأوامر في ممارسة التعذيب من السلطات العليا، إنني طبقت أوامر الجمهورية لا غير".

لقد وجد هؤلاء الجلادون أنفسهم محميون بالمرسوم رقم "8691" الذي يوفر لهم الحصانة من تقديم أي تبريرات أو متابعات قضائية بفعل ارتكابهم جرائم ضد الإنسانية. أما في إقليم العين الصفراء العسكري تحصل الجيش الفرنسي على سلطات استثنائية وأنشأت وحدة عسكرية خاصة عرفت بالمفرزة العملياتية للحماية " Détachement Opérationnel de Protection" لها حرية تامة في اعتقال وتعذيب وقتل المعتقلين والمشتبه فيهم. (PATRICK, Ch R.1993: 159.)

لا يمكن إحصاء كل أساليب التعذيب ووسائل الاستنطاق التي استخدمها جلادو الاستعمار بهذا المركز أو غيره من المراكز الأخرى، لأن ممارسة التعذيب أضحت بالنسبة لهؤلاء فنا يدرس ويتطور تبعا لتطور المعارف البشرية. وما يلاحظ أيضا أن أشكال وأساليب التعذيب التي سلطت على المعتقلين كانت متشابهة على مستوى جميع مراكز التعذيب المنتشرة عبر التراب الوطني مما قد يؤكد أن المشرفين على عمليات التعذيب تخرجوا من مدرسة واحدة وتلقوا التعليمات نفسها.

لقد استعمل زبانية مركز "الدزيرة" العسكري في تعذيبهم المعتقلين وسائل متعددة الأشكال تتعدى في وحشيتها أفق التصور البشري، وتفوق في بشاعتها وغطرستها تلك الأساليب التي وظفتها فرق

غيستابو Gestapo، ولم يكن الغرض من عملية التعذيب الوصول إلى معلومات تخص أسرار الثورة فحسب، بل سياسة تهدف إلى تصفية الثورة وبث جو من الرعب والانشقاق بين المجاهدين .

وجدير بالذكر أن أساليب التعذيب بشهادة الفرنسيين أنفسهم كانت تتم بشكل منتظم ضد كل مشبوه أو متهم من غير إدانة ثابتة (Vidal, P.1975 :83) .وليس بالضرورة أن يكون من أسرى جيش التحرير الوطني.

التعذيب النفسي:

كان المعتقلون يعيشون أقصى درجات الرعب في هذا المركز، وقليل منهم يخرج حيا فقد حشروا في زنزانات ضيقة تجبرهم على الوقوف في وضعية منحنية بحيث لا يمكنهم التمدد أو المشي داخلها، مما يضطرهم إلى البقاء واقفين فترة طويلة من الزمن، الأمر الذي جعل هذه الوضعية تؤثر فيهم من الناحية النفسية والجسدية.

إن ممارسات التعذيب التي تعرض لها المعتقلون بهذا المركز لم تكن حكرا على الرجال فحسب بل تعدتها إلى النساء كذلك، وهو ما زاد من وحشية الاستعمار، حيث كان المكتب الثاني يمارس على النساء نفس الوسائل نفسها المستعملة على الرجال، وقد يدفع بالرجال والنساء وهم عراة إلى ساحة المركز كوسيلة لممارسة الضغط النفسي على المعتقلين، بل يذهب الأمر أبعد من ذلك إلى ربط الرجل بالمرأة بالحبل نفسه أمام الملأ .

ومن النساء اللائي عانين كثيرا من هذه الممارسات نذكر المجاهدة "سهول زهرة" المدعوة "بنت العسل" التي كانت قوية البنية،

وكانت تنشط كمخبرة لصالح جبهة التحرير وجيش التحرير حيث كانت مهمتها هي إحضار معلومات استخباراتية من الفيلق الأجنبي Légion étrangère الذين لم يكونوا على قدر من الوطنية تجاه فرنسا، ولم يكونوا مقتنعين بالحرب التي يخوضونها وأدت هذا الدور بكفاءة ومهنية إلى أن جاء اليوم الذي ألقي عليها القبض فيه، وسلطت عليها أنواعا شتى من التعذيب. (Derdour, A . 2011 :09)

ومن صور التعذيب النفسي التي كانت تطعن مشاعر المعتقلين الإنسانية، وتدوس على كرامتهم وشرفهم في هذا المجال ما أدلى به المجاهد بن قاسمي عبد القادر في شهادته حيث يقول :" عند تعذيب النساء وهن عاريات في ساحة المركز، يرغم الرجال وبخاصة الذين تربطهم صلة قرابة بإحداهن على النظر إليهن، وقد يتعدى الأمر ذلك إلى ممارسات تتنافى مع كرامة الإنسان، وينتهك فيها شرف المرء أمام الملأ " (بن قاسمي عبد القادر:2011).

وخلال سرده للجرائم البشعة التي اقترفها القائمون على مركز الدزيرة يقول المعتقل سبتي بلقاسم بأنه: " وقف على معاناة نفسية وجسدية لزميل له يدعى لعروسي عبد العزيز الذي سلطت عليه ألوان من التعذيب من قبل الدركي فلوك Flock بعد أن أنزله ببئر كان موجودا خارج المركز، فقام هذا الدركي يرمي حجرا كبيرا في البئر ولم يأبه لسقوط الحجر على رأس المعتقل، أو على أي موضع من الجسم وأمر المعتقل بكل وقاحة بتعظيم مكانة فرنسا، وترديد أغنية تحط من قدر ومكانة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا لم يصله صوت الأغنية يعاود رمي الحجر في البئر، ولم يتوقف عن فعلته إلا بعد أن تأكد من وفاة المعتقل

تحت وقع هذا الأسلوب اللانساني من التعذيب."(Derdour, A . 2011 :08)

ويختم المجاهد مآساته بقوله: "...وفي حجرة التعذيب كان يجرد المعتقل من كل ثيابه فيضحى كما ولدته أمه، نزعوا ثيابي وكانوا ينادونني جاكلين Jacqueline فكنت أدعوا وأنا خائف "يا رب رحمتك" وكنت أضع يدي لأغطي سوءتي لكن أحد هؤلاء الزبانية وجه لي ضربة برجله إلى هذا المكان، في هذا المركز الشيطاني كان المشرفون عليه ينزعون من المعتقلين كل شيء "الحياة، الجلد الأظافر الشعر،اللباس حتى الدموع انتزعت منا"و بقيت "لا إله إلا الله محمد رسول الله" هي الكلمة الوحيدة التي بقيت مدوية داخل هذا المركز."(Derdour, A . 2011 :08)

زيادة على هذه الأساليب كانت هنالك أصناف أخرى من وسائل التعذيب النفسي كان الهدف منها الازدراء والانتقاص من كرامة الجزائري مورست على المعتقلين نذكر منها أن بعض المعتقلين كان يرمى لهم فتات الخبز فيلتقطونه وهم مكبلي الأيدي، ويضعونه في أفواههم وهم يتأوهون من شدة الألم، وآخرون يلتقطون الفتات بأفواههم مثل الأنعام لأن أيديهم كانت وراء ظهورهم.كما كان هناك التعذيب بواسطة حفر القبور، وكثيرا ما كانت هذه العملية تستغرق فترة طويلة من الزمن للتأثير النفسي على المعتقلين. (Alla, B. 2004 :13)

إن هذا الرعب النفسي لا يمكن وصفه بحال، ولا يمكن أن تعرف الحقيقة إلا ممن ذاقوا هذه الألوان من التعذيب، لأن هناك فرق بين من ذاق مرارة التعذيب، ومن يجعل التعذيب ووسائله موضوعا لدراسته

فالأول عايش التعذيب ويحمل المعاناة حيث كابدها وقد يلجأ إلى تحليلها ما واتته اللغة ومنهج الكتابة التاريخية في ذلك التحليل والوصف على شاكلة المذكرات التي تنشر بعد، ثم يأتي بعد ذلك دارس التعذيب فيجد بين يديه ما أدلى به المعذبون فيجعل منه موضوعا للدراسة والبحث.

التعذيب الجسدي:

من أساليب التعذيب التي كانت ترهق المعتقلين والتي يدعي الجلادون أنها أثبتت نجاعتها في استخلاص المعلومات من المعتقلين، وجعلهم يبوحون بأسرار الثورة كان التعذيب بالتيار الكهربائي على أن التعذيب بالكهرباء قد تضاعفت بعد سنة 1960، حيث تربط خيوط الكهرباء بالأعضاء الحساسة في جسم المعتقل ثم توصل بالتيار. وعادة ما تسبق عملية تعذيبه بالكهرباء غطسه في الماء كما استعملت أجهزة جيجين Gegeni في عمليات التعذيب، وقد ساد اعتقاد بين الجلادين أنه كلما ضاعفوا التعذيب بالكهرباء حصلوا على معلومات أكثر. تسبب هذا الصنف من التعذيب في وفاة عدد كبير من المعتقلين، الذين لم تعط لهم حقوق الدفن، حيث اكتفى المشرفون على هذا المركز برمي جثث الشهداء في بئر تقع خارج المركز، أو ردمهم في حفر أعدت خصيصا لذلك، وقد عمت هذه العملية كل مراكز التعذيب بالجنوب. (ALLEG, H;1981: 315)

ما يؤكد هذه الجريمة أنه عثر في سنة 2006 قريبا من المركز على بئر محكمة الإغلاق بمادة الاسمنت المسلح بعد تعرضه لعملية التعرية، وبحسب شهادة من نجا من المعتقلين فقد أكدوا بأن تلك البئر

تضم رفات العشرات من الشهداء الذين اختفوا مباشرة بعد دخولهم المركز.(زروال، بوعلام.: 2008)

كان المعتقل بهذا المركز يوضع على كرسي حديدي يداه مكبلتان إلى ظهره يسلط عليه مصباح ذا وهج قوي موجه نحو وجهه مما يجعله يتصبب عرقا، وهذا الوسيلة لا تتوقف إلا عند خضوع المعتقل لعمليتي التحقيق والاستجواب.

ولم تخرج عملية الإغراق في الماء والتعليق من الأرجل وغمر وجه المعتقل بالماء الممزوج بالصابون عن هذا الإطار من التعذيب، وكان المعتقل يأمر بالنوم على بطنه وتكون يداه ورجليه ممدودتان، ثم توضع حجارة ضخمة على ظهره بالقرب من القفا يصل وزنها إلى 30 كلغ وتستمر هذه الوضعية من المساء إلى الصباح خاصة في فصل الشتاء حيث البرد الشديد وفي حالة سقوط الصخرة يعذب المعتقل بالكهرباء أو قد يلجأ الجلادون إلى قتله ورمي جثته وراء الأسلاك الشائكة المحيطة بالمركز. (Kadri, J .fr/t517.2007)

ومن الأساليب الأخرى أن المعتقل كان يربط بقضيب - قبضة فأس - ويوضع تحت ركبتيه وهو مجرد من الملابس وتوضع الخيوط المكهربة بأصابع يديه وفي أذنيه ودبره ثم يرمي بدلو من الماء ويطلقون الكهرباء حتى يرتجف ويتزلزل جسمه، بالإضافة إلى إشعال النار تحت الكرسي الحديدي في محاولة لترويعه. ثم ينقل إلى عذاب آخر يكون أكثر ضراوة من الأول كأن يوضع المعتقل على خشبة تغرس فيها مسامير حادة، أو يوضع في حفرة وهو مشدود بخيط مكهرب،أو يربط الخيط بقضيب من حديد لوضعها على مستوى مخرجه الخلفي، وقد جن

عدد من المعتقلين جراء هذا الأسلوب، كما سحقت الأعضاء التناسلية للمعتقلين بواسطة آلات حادة أعدت خصيصا لهذا الغرض. (Alla, B . 2004 :13)

وكان المعتقل يوضع في صهريج به ماء قذر، وصابون وهو مربوط بخشبة ورأسه إلى أسفل داخل الماء لتتكرر عملية الغطس عدة مرات حتى الغثيان عله يبوح، أو يفارق الحياة، مثلما وقع للشهيد الحاج الشيخ بغدادي الذي فقد حياته جراء هذا النوع من التعذيب. وكان الجلادون يقومون أثناء ممارستهم البشعة بعملية الوخز والكي بالسجائر على أطراف جسد المعتقل، وهو ما أوضحه المجاهد بن عطا الحاج محمد الذي اعتقل يوم 23 أوت 1960 في شهادته بقوله : " اقتادوني رفقة أبي وأيدينا مكبلة وراء ظهورنا إلى حوض مملوء بالماء عليه صفيحة حديدية فيها ما يشبه المغلاق الذي يوضع في الصناديق للفتح والغلق، فترفع هذه الصفيحة وتوضع رؤوسنا في الماء ويثبت هذا المغلاق حتى تبقى رؤوسنا مغمورة في الماء وكنا نبقي على هذه الوضعية لحظات كانت تبدو لنا دهرا من الزمن، وحين نشعر بانقطاع أنفاسنا إلى الاختناق كنا نتخبط ونقوم بضرب رؤوسنا على تلك الصفيحة الحديدية بحثا عن متنفس من هواء، وهذا المشهد كان يتلذذ به الحراس ووجدوا فيه نشوة وراحة نفسية، ويتكرر مرارا وتكرارا حتى أن الكثير من المعتقلين لقوا حتفهم تحت تأثير هذا الأسلوب من بينهم "بن علال عبد القادر، مرين محمد ولد بوبكر " الذين عذبا أياما وليالي متتاليات." (Derdour, A.2011 :08)

ويضيف المجاهد بن عطا الحاج محمد واصفا كان المعتقلون يصدرون أنينا تسبب في إزعاج نوم الحراس الذين لم يجدوا وسيلة

للتخلص منهم بكل جبن ووقاحة إلا اللجوء إلى حقنهم بحقن قاتلة لتغطية جرمهم، حيث توجد جثثا كثيرة دفنت في أماكن قريبة من المركز، والجثث المحظوظة منها كانت ترسل إلى مستشفى المدينة لويس ليتروت Louis Lutrot وكانت تسلم لذويها تحت رقابة عسكرية." (Derdour, A 2011 :09 .)

وهذه شهادة أخرى للمعتقل علا بلحاج الذي كان شاهد عيان على ما كان يجري داخل المركز من ممارسات التعذيب إذ يقول: "العذاب الجسمي الأشد على جسم المعتقلين كان عبارة عن حوض يغطى بثلاث أرباعه ¾ ماء فيكبل المعتقل من يديه ورجلاه مربوطتان في قضيب حديدي معلقة على سند حديدي فمرة ينزل المعتقل ومرة يرفع بواسطة بكرة إلى حد الإغماء."(Brisini. M : 103)

ومن الأساليب التي تدور في هذا الصدد شهادة المعتقل سبتي بلقاسم الذي يروي المعاناة التي عايشها في مركز الدزيرة قائلا:" كان زبانية السجن يحلقون شعور المعتقلين كما تزج الغنم، وعندما ينتهون من حلقهم رؤوس المعتقلين تترك وهي تسيل بالدماء، وهو ما وقع لي شخصيا حيث قاموا بتبليل شعري بمادة الكحول ثم قام الحلاق بإشعال عود ثقاب عليه فبدأ رأسي بالاشتعال فهرولت وأنا أصرخ من الألم فقمت بإطفاء النار عن طريق وضع رأسي في الرمل، وملأ يداي بالرمل لإطفاء النار حيث ولم ينبت الشعر من جديد إلا بعد مرور شهرين كاملين من العملية ."(Derdour, A. 2011 :09)

أما المعتقل بن عطا الحاج محمد فيضيف إلى شهادته السابقة : "قضيت ستة وعشرون يوما مكبل اليدين وراء ظهري وفي اليوم الذي

أرادوا فيه نزع تلك الأصفاد بقيت لاصقة في كفي الأيسر أما يدي اليمنى فبقيت ملتصقة على ظهري لطول الفترة التي قضيتها وأنا على هذا الوضعية، ثم يذكر أنه كان يتمتع ببنية جسدية قوية فحوله زبانية المعتقل إلى ما يشبه كيس الرمل الذي يتدرب عليه الملاكم لتسديد ضرباته.". (Kadri,J .fr/t517.2007)

ومن تلك الأساليب نذكر أيضا عملية شد الحبل حيث كان يؤتى بحبل متين فيأخذ بطرفه ثلاث جنود ثم يلوى به عنق المعتقل، وفي المقابل من ذلك يشد ثلاث آخرون الطرف الآخر للحبل، وتبدأ عملية الجذب حتى يسقط المعتقل فاقدا للوعي والتوازن، وتستمر العملية عدة مرات وحسب المراحل المعهودة، وبهذا الأسلوب أصيب عدد من المعتقلين بالجنون.

كما استعملت الكلاب في تعذيب المعتقلين، فبعد أن يجرد المعتقل من ملابسه يؤتى بكلاب ضارية مدربة على الفتك بالضحية فتقوم تلك الكلاب بنهش أجسام المعتقلين، مما يؤدي إلى فقدان بعض الأطراف أو أجزاء منها.(Alla, B . 2004 :13)

قائمة بعض شهداء مركز الدزيرة:(أرشيف الولاية. 1960)

اسم الشهيد	تاريخ الميلاد	مكانـه
مرين محمد ولد بوبكر	1906	العين الصفراء
زويري يحيى ولد يوسف	1931	خميس مليانة
بن طـالب محمد	1934	العين الصفراء

عمراني أحمد واد بن الدين	1927	المشـرية
ابن ديمية عبد الله ولد سعيد الدين	1937	المشـرية
سلامي سالم ولد محمد	1936	البيـض
لعروسي عبد العزيز ولد دريس	1936	العين الصفراء
محيقن أحمد ولد محمد	1928	العين الصفراء
بوخيرة خالد ولد موسى	1933	المشـرية
منصور بن الدين ولد محمد	1941	البيـض
حجاجي العيد ولد محمد	1924	العين الصفراء
زروال جلول ولد قدور	1908	المشـرية
بن علال عبد القادر ولد محمد	1907	العين الصفراء
بغـدادي الشيخ	1898	العين الصفراء

إضافة إلى شهيدين مجهولي الهوية.

نهاية مأساة سجن الدزيرة:

بناءا على التقرير الذي رفعه الفرع الفرنسي للحركة العمالية العالمية بمنطقة الجنوب الوهراني "S.F I O " Française de « Section L'Internationale Ouvrière " التابعة للحزب الاشتراكي، إلى الحكومة الفرنسية، تضمن هذا التقرير شهادة الجنرال بيفان Biffin قائد القطاع العسكري لملحقة البيض كشاهد إثبات على الجرائم المرتكبة في حق المعتقلين بمركز الدزيرة طالب أعضاء هذه الحركة الحكومة الفرنسية بالتدخل العاجل من أجل توقيف ممارسات التعذيب القاتلة بهذا المركز. (Kadri , J .fr/t517.2007)

من أجل تقصي الحقائق ومعاينة ما كان يحدث بمركز الدزيرة قامت الحكومة الفرنسية بإيفاد لجنة تحقيق مكونة من أطباء وضباط إلى عين المكان، وقد أسفرت هذه الزيارة عن منع التعذيب بتلك الطرق الوحشية التي كانت تتم بالمركز من قبل، وفرض على قادة القطاع العسكري الاستعماري بالعين الصفراء ضرورة توفير محاكمة سليمة للمتهمين قبل سجنهم واعتقالهم.

ومن ثم عرفت وتيرة التعذيب داخل مركز الدزيرة انخفاضا تدريجيا، وأحيل من بقي على قيد الحياة على المحاكمة في المحاكم العسكرية، وهو ما أكدته مراسلة إدارية ضمت قائمة واحد وثلاثون متهما منهم سبع نساء وجهت لهم تهمة المساس بأمن الدولة من قبل المحكمة الدائمة للقوات المسلحة بمنطقة الجنوب الوهراني، وقد تم استدعاؤهم لحضور جلسة المحاكمة المقررة ليوم الأربعاء 19 أفريل 1961

على الساعة الثامنة أمام المحكمة العسكرية بسعيدة. (أرشيف الولاية.1961)

إذا كان عدد الشهداء الذين سقطوا بمركز الدزيرة جراء عمليات التعذيب قد تجاوز خمسة عشر ومائة شهيدا من مختلف أنحاء الجزائر، فان من كتب له النجاة وخرج سالما من ويلات التعذيب فقد خرج معطوبا أو اعتراه التشويه في جسده أوعقله، وأصيب عدد كبير من المعتقلين بالجنون من هول ما عانوه من وسائل التعذيب التي تعرضوا لها بمراكز الاعتقال، ومراكز العبور والتوجيه. (Teguia, M . 1988 :256)

الخاتمة:

استخدمت السلطة الاستعمارية وسائل متعددة الأوجه والأشكال بغرض القضاء على العمل الثوري بمنطقة العين الصفراء، فإلى جانب المواجهة العسكرية مع جيش التحرير الوطني فقد وظفت السجون والمعتقلات بعد أن جهزتها بوسائل متطورة في التعذيب كأسلوب للضغط والترهيب ويصنف مركز "دزيرة" أكبر مركز للتعذيب في الجنوب، وقد مارست فيه الإدارة العسكرية ألوانا من التعذيب التي لم تكن حكرا على الرجال فحسب بل تعدتها إلى النساء كذلك.

بالرغم من فظاعة أساليب التعذيب النفسية والجسدية التي استعملها الجلادون بهذا المركز إلا أن المعتقلين ظلوا متمسكين بمبادئ الثورة، حتى أضحى الواحد منهم لا يخاف على نفسه من التعذيب الوحشي بقدر خوفه على مصير الثورة وأسرارها.

مركز الدزيرة العسكري شاهد على نظام استعماري لم يختلف عن النظام النازي، لا من حيث شروط الاعتقال والسجن، ولا من حيث

الإبادة الجماعية لعدد كبير من المتهمين دون محاكمة سليمة وعادلة.ومن ثم فقد مثل صورة قاتمة لوحشية الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

قائمة المصادر والمراجع :

1- Archives wilaya de Nàama. Notes de Renseignements N'1216, Service Départemental Des Renseignements Généraux De Saida, Signe par Dols. (P) Commissaire de Police, Chef de S .D.R.G. de Saida, Mercredi Le 21 avril 1961. (Non Coté).

2- Archives wilaya de Nàama. Rapport sur A/S Affaire de « Camp De Dzira » Signe par le Gendarme - André Lopes- Le Jeudi 08 Septembre 1961. (Non Coté).

3 - شهادة المجاهد بن قاسمي عبد القادر، العين الصفراء، 15 يناير 2011.

4 -شهادة المجاهد زروال بوعلام، العين الصفراء، نوفمبر 2006 ، مديرية المجاهدين لولاية النعامة.

5 - محمد الطاهر عزوي. نوفمبر 1987. " المعتقلات في الجزائر، ودور ضباط الشؤون الأهلية في الحرب النفسية داخل المعتقلات أثناء الثورة" مجلة أول نوفمبر، المنظمة الوطنية للمجاهدين، عدد 87، ص ص 41- 43.

6- Alla Belhadj Ould Mohammed. (Lundi 12 Juillet 2004). « Souvenez – Vous De Dzira », Le Quotidien D'Oran. N" 2616. P13.

7- ALLEG, Henri. La Guerre D'Algérie, Première Édition, Paris, Editions Temps Actuel, 1981.

8- Brisini, Mahiddine, Ain-Sefra, Berceau De Mon Enfance, et Fiet Du Nationalisme Dans L Exe- Sud Oranais, Oran: Edition Dar El Ghab.
9- -Comite International de la Croix – Rouge(CICR).(2010).Actes de la Conférence Diplomatique de Genève de 1949, Vol.1, Berne : Département Politique Fédéral. PP 243- 296.
10- Derdour Ahmed, (2011).Journal D'un Témoin Des Années Noires, Ain—Sefra: Imprimerie Mondial Prient Service.
11- Guentari, Mohammed. (2000).Organisation Politico Administrative et Militaire de la Révolution Algérienne De 1954 a 1962, T1, Alger : OPU.
12- Kadiri, Jilani. (22 juin 2007). Camp De Dzira a Ain-Sefra, http://ainsefraforum.xooit.fr/t517-DZIRA-Aout-Septembre-1960-a-Ain-Sefra.htm
13- Kadiri, Jilani.(22 juin2007). Tortures et Services au Camp De Dzira a Ain-Sefra, http://ainsefraforum.xooit.fr/t517-DZIRA-Aout-Septembre-1960-a-Ain-Sefra.htm
14- Patrick Eveno, Jean Planchais. (1989). La Guerre D'Algérie. Paris : La Découverte Edition.
15- PATRICK, Charles Renaud. (1993) Combats Sahariens 1955-1962, Première Edition, Paris, Editions Jack Grancher.
16- Massu, Jacques. (1972). La Vraie Bataille D'Alger, Paris: Plon
17- Teguia, Mohamed, (1988) , L'Algérie En Guerre, Office Des Publications Universitaires, Alger, P.256.
18- Vidal Pierre-Naquit. (1975). Les Crimes De L Armée Française, Paris : Edition François Maspero.